من شعراء (هَجَر) المبدعين ..ا لأستاذ حسين بن عبدا المبارك

هو الأستاذ حسين بن عبدا بن حسين المبارك , رجل في غاية التهذيب والتواضع والإيمان والورع والثقافة الواسعة الواعية ، من مواليد بلدة (القرين) بالأحساء عام 1382هـ , حاصل على بكالوريوس من كلية إعداد المعلمين و يعمل معلما في مدارس الأحساء . شاعر مطبوع مُجيد غزير الإنتاج طويل النفَس ، له حضور كبير و مكثف في الإحتفالات الولائية والأدبية , كتب في معظم الأغراض الشعرية , له مجموعة شعرية ضخمة بعنوان (عطر المودة) تحت الطبع . ترجمنا له في (معجم شعراء منتدى الينابيع الهَجَرية) الصادر عام 1434هـ وهو عضو بالمنتدى منذ عام 1415هـ .

عين القريضِ حليفةُ التّسهادِ

مشتاقةٌ للشعرِ والإنشادِ

تماما هذا هو وصف حال شاعرنا الأستاذ حسين بن عبدا المبارك ، زاده ا توفيقا ، هذا هو حاله مع هاجس الشعر، الذي خامر عقله و قلبه ، وأقضّ مضجعهُ ، وألحّ عليه حتى أثرى ديوان المودة بمآت القصائد الرائعة.

وهذا هو حاله أيضا مع الإنشاد ، الذي جعله فارسا لا يشق له غبار ، من فرسان الولاء والوجد و الشجى ، و جعل اسمَه علما في رأسه نارٌ متوهجة في عالم الأدب الرفيع .

وهكذا وصف هو نفسه دون أن يدري ، ليريحني من عناء اختيار وصف مناسب له ، خاصة وأن شهادتي فيه مجروحة ـ كما يقولون ـ بموجب العلاقة العميقة والخاصة التي تجمعني به ، منذ شرفني بأول زيارة قبل ما يقارب الثلاثين عاما ، ليطلعني على باقةٍ من بواكير قصائده ، و منذ أصبح زميلا في (منتدى الينابيع الهجرية) ثم سكرتيرا لإدارة المنتدى .

ولا يدعك الأستاذ حسين تتحير طويلا ، أو حتى تسأل عن اسمٍ لذلك النبض الذي لا يهدأ ولا يستريح بين جوانحه :

حبٌّ نمَت روحي عليه وأورقتْ

جناتها واخضرّ منه فؤادي

حب لا يهيم بصاحبه في وديان التيه ، و لكنه الحب الذي يزيد العقل ثباتا ، والقلب نورًا ، واللسان حلاوةً و بيانًا :

يا سائلي مَن أنا تُنْبيك قافيتي

فإنها نبض قلبي في عباراتي

أضحى ولائي إلى قومٍ ينص لهم

بالفضل والحق دستور الرسالاتِ

وكأنه يسارع إلى إثبات هوية ذلك الحب وإلى وضع عنوان كبير واضح له ، وهل هناك أوضح وأكبر من اسم (عليّ) عليه السلام ؟ دالةً على الحب ؟ حب ا و حب رسوله و صفيّه محمد بن عبدا صلى ا عليه وآله ؟ :

لولا (غديرك) يا علي دليلي

أنّى يكون إلى النجاة وصولي ؟

لولاك في دربي منار هدايةٍ

في مسمعي منها صدى التهليلِ

لـرأيتَ مـوج الـتيه حـطّمَ زورقي

حـتـى تـحـين نـهـايتي وأفـولـي

تـتعثر الـخطوات إنْ هـي أجفَـلَـتْ

مـا بـين مـشبوهٍ و بـين دخـيلي

لـولا غـديـرك مـا وجـدتُ مـوانِـئًا

أرسـو بـهـا حـتـى أتـمّ رحـيلي

ويلذ له الحديث عن معشوقه الكبير ، كما هي عادة العاشق المتيم ، لتتواصل ملحمة المناجاة :

مذ كنتَ نوراً محدقا في عرشهِ

والـغيبُ كي يحميك صار عيونا

حـرستكَ عـين ا□ في ألطافِـهِ

فـكأنها سـدَلَـتْ عـليك جـفونا !

يـا من به شخص العدالة ماثلٌ

قـد أنصف المحروم والمسكينا

مـا غـرّتِ الـدنيا (عَـلِـيّاً) بعدما

قـــد لـــوّنـتْ أشـراكـهـا تـلـوينا

ويتتبع خطى أمير المؤمنين عليه السلام بكل وجدانه ، حتى يقف أمامه محمولا على أعناق الرجال ، و شيبته تقطر من دم فوزه ، ليعتذر عن رثائه :

الـشعر يرثي من يموت ، وأنت مَن

يـسعى الـخلود لـكي يـنال رضـاكا

فـيـك الـحـياة تـجـسدت و تـمـثلتْ

أنـــت الـدلـيل لـهـا ولـــي سـواكـا

يـــا أيـهـا الـوِتـر الـــذي مـــلأ الـدنى

قـــيـمًـا بـــهـــا قـــد أنـــقـذ الـهُـلاكـا

بك سيدي عرفوا الطريق إلى العُلا

فـمـشوا بـدربـك يـقـتفون خـطـاكا

و كعادة شاعرنا يجيب على الأسئلة قبل أن يطرحها أحد ، فكأن سائلا سأله : وماذا بعد ؟ ليجيب :

هذي ابنة الوحي المبين ومَن بها

نـطق الـكتاب فـكان خـيرَ مترجمِ

نـــص الـكـتاب ونـــص أحـمدُ أنـها

وُقِـيَـتْ و شـيـعَـتَـها عـــذاب جـهنّمِ

ويتواصل انهمار ذوب الوجدان الصادق المتوهج ، و شاعرنا ينتقل من أعتاب معصوم إلى أعتاب معصوم آخر , وعشق (عليّ) عليه السلام يحدو ركائب مودته و يؤجج لهيب وجده ، فللإمام الحسن عليه السلام آهة :

يـا ربـيع الحياة إنْ عقّك الوردُ

فـــقـد عـــقّ آيـــةَ الـرحـمـنِ

كنتَ بين الرياض أجمل فصلٍ

مذ حكى الماء قصة الأغصان

وللإمام الحسين عليه السلام دمعة :

أنـت يـامَن إسـمه خُـطّ على

هـامة الـخلد بحرفٍ مِن ثباتْ

أنـت يـامن رفـعوا فـوق القنا

رأسه شمسا أضاءت للسّ ُرَاة

أنـت يـامن سـال مِن أوداجهِ

ذلـك الإعـصار يـجتاحُ الطغاة

وللحجة الموعود ـ عجّل ا فرَجهُ الشريف ـ سؤالٌ على هيئة عتاب يقطر لوعة :

يـا سـيدي لـلصمت حَدّ ٌ واضحٌ

إنْ طال أغرى طغمةَ السفهاءِ

وكأنه يُهدي هذا الديوان ، هذا البوح المقدس إلى آبائه وأجداده اللذين استجابوا للنداء الإلهي (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ففتحوا عيون قلبه على حب محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام ، ولأمه الأحساء ، أحساء عليّ عليه و عليها السلام ، التي ضربت جذور هواه في ترابها الطهور حتى اهتزت وربت بمثل هذه القريحة التي ستظل شاهدًا على عمق إيمان و طهر و قداسة هذه الأرض المباركة :

بـين الجوانح عطر شوق يعبقُ

مـن روض قلب بالمحبة يخفقُ

غـنـى وقـد هـز الـغرام كـيانَهُ

طـربـا و أضـلاع الـولاء تـصفّقُ

لـيست مشاعره تباع و تشترى

لـكـنـهـا إرثٌ قـديـمٌ مُـعـرقُ

و رغم جمال و روعة ما كتبه الأستاذ حسين في مختلف أغراض الشعر إلا أنني أستسلم لصدق و لبهاء و لعمق شعره الولائي فأكتفي به شاهدا على ما يمتلكه هذا الشاعر الفحل من إمكانيات إبداعية هائلة .

هنيئا لكم يا شعراء (هجَر) على هذا الحظ العظيم ، وعلى هذا الاصطفاء المبارك ، لخدمة القيم المقدسة ، والمبادئ السامية . وهنيئا لك يا أستاذ حسين هذا الولاء العتيد الذي هو غني بما فيه من صدق و جمال عن أي وصف وعن أي إطراء .